Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد إدمان قرعه، فإذا أعدت الحلبات لجرى الجياد، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة فى الإبعاد والسداد فرهان العقول التى تستبق، ونضالها الذى تمتحن قواها فى تعاطيه هو الفكر والروية والقياس والاستنباط»(١).

واستدعاء عبد القاهر لهذه العبارة فى معرض حديثه عن «الكلام البليغ المتوقف على دقة الفكر» إنما يعنى ضمنا أن الجاحظ برؤيته يعد ظاهرة فريدة بين رجال عصره، أو قفزة نوعية، لم يشهدها تاريخ الفكر النقدى حتى عصر عبدالقاهر. وتشير العبارة - فى الوقت ذاته - إلى نقطة هامة، يلتقيان عندها، وهى أن طبيعة الفن الأدبى تستدعى فى الأديب أن يكون بعيد المرمى، دقيق الفكر، معاينا للغاية. وتستدعى فى المتلقى أن يكون من ذوى الفكر الثاقب والنظرة الفاحصة معتمدا على الروية والاستنباط فى فتح باب العلم بعد إدمان قرعه - عند الجاحظ ـ أو قادرا على أن يشق الأصداف لاستخراج الجواهر ـ عند عبد القاهر(٢) ـ فالمتعة الفنية والجمالية فى عملية التلقى إنما تتحقق عند الناقدين بذلك الجهد المشترك بين صاحب النص والمتلقى. فصاحب النص هو من يودعه دقيق فكره وخلاصة سره كما تودع حبات اللؤلؤ قلب الأصداف، أو يودع العقد النظيم خزائن الأسرار، أما المتلقى ناقدا أو دارسا فهو الباحث عن مكنون الجمال فى النص متطلعا إلى أصدافه وخزائن سره. وتلك مهمة تقتضى الخبرة النادرة فى الوصول إلى الأغوار البعيدة والسراديب المختفية؛ فالتعامل مع الأصداف النصية بحثا عن الجواهر يتطلب جهدا وحذرا ـ وهو ما يوحى به كلام عبد القاهر ـ كما أن الوقوف أمام خزائن النص الحافلة بالأسرار يستدعى الروية وإعمال الحلية مع إدمان قرع الباب وهو ما يفهم من كلام الجاحظ.

وربما كان الاتفاق بين الناقدين واضحا فى الحديث عن علاقة الأديب والمتلقى بالنص ولكن يبدو التمايز بينهما أكثر وضوحا فى حديثهما عن ناتج هذه العلاقة ومدى تأثيرها فى جماليات التلقى. فالجاحظ يميل فى بعض ما كتب إلى أن يخلع على هذه العلاقة طابع النص المسرحى - عند أرسطو - فى علاقته بالكاتب والجمهور، حيث يكون إعراض الجمهور المتلقى أو إقباله على الموقف الممثل هو الفيصل فى الحكم على المستقبل الفنى لصاحب النص.

(١) أسرار البلاغة ص ١٢٦

(٢) المصدر السابق ص ١١٩ .